ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة التواصلية

ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد: 10العدد: 01(2024) ص30/11

استرجاع الزمان واستباقه في شعر عدنان الصائغ

Reclaiming and anticipating time in Adnan Al-Sayegh's poetry

عاطفة عطشاني*	خيرية عچرش	أحمد جابري نصر
جامعة أمير المؤمنين، أهواز (إيران)	جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز (إيران)	جامعة أمير المؤمنين، أهواز (إيران)
a.atshani1397@gmail.com	Echresh.kh@scu.ac.ir	Ahmadjaberynasr@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/12/27
تاريخ القبول:
2024/01/27

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الزمن المزجي
- ✓ اللغة الشعرية
- ✓ عدنان الصائغ
- ✓ الاسترجاع
- ✓ الاستباق

الملخص:

هذه الدراسة وفق المنهج الوصفي - التحليلي تسلط الضوء على موضوع الزمن: استرجاعه واستباقه في شعر عدنان الصائغ، إذ نجده تلاعب ببعض المفردات والثيمات وأربك الزمن بلغة شعرية. يهدف المقال لدراسة البنية الزمنية برؤية مختلفة: إذ يبدأ بإعطاء صورة عن أفكار ونظريات بعض النقاد والكتّاب حول فكرة الزمن لتكون تمهيداً لموضوعنا، ثم نبيّن بأنها تتشكل على غرار تقانات حديثة بوصفها نوعاً مميزاً في المنجز الشعري ونكون أول من ألّف بين الزمن المزجي واللغة الشعرية كدراسة مستقلة حول الشعر لمعرفة أسرار اللغة الشعرية الممتلئة بالتقانات الحديثة.

Article info

Received
27/12/2023
Accepted
27/01/2024

Keywords:
- ✓ *Mixed time*
- ✓ *Poetic language*
- ✓ *Adnan Al-Sayegh*
- ✓ *Flashcback*
- ✓ *Flash-forward*

Abstract :

This study, according to the descriptive-analytical approach, sheds light on the topic of time, flashbacks and flash-forwards, in Adnan Al-Sayegh's poetry, as we find him manipulating some vocabulary and themes and confusing time in poetic language. The article aims to study the temporal structure with a different vision: it begins by giving a picture of the ideas and theories of some critics and writers about the idea of time as a prelude to our topic, as we show that it is shaped along the lines of modern techniques as a distinct type in poetic innovation and we are the first to combine blended time and poetic language as an independent study about poetry to learn the secrets of poetic language filled with modern techniques.

*المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1. مقدمة:

يُعدّ عدنان الصائغ من كبار شعراء الحداثة في العصر الراهن، فكان ولا يزال يضطلع بدورٍ ريادي في نشر الوعي وفضح ممارسات السياسة الانهزامية للسلطة وللغزاة المحتلين ومما لاشك فيه أن عدنان الصائغ شاعر موهوب مجدد ومنفتح على لغة الحداثة، ومن يتصفح أعماله الشعرية سوف يستشف من شعره إصالة ثقافته الأدبية، ثم إبداعه الفني في توظيف ظاهرة الموتيف وإلحاحه على تكرار بعض الجوانب الهامّة والمثيرة في حياته من خلال الشعر.

الصائغ شاعرٌ مبدعٌ ومتميزٌ ولا يزال نتاجه الأدبي متدفق لم يكتمل بعد، ففي كلّ فترة يطلّ علينا بجموعة جديدة ومع أي مجموعة من هذا السيل الإبداعي نجد الشاعر متجدداً فيها مع المحافظة على سماته الأسلوبية الأساسية مبدعاً في اكتشاف وخلق الجماليات والتقنيات والصور الجديدة.

يتناول الشاعر الكثير من الموضوعات والأغراض الشعرية بجمالية ورقّة عالية التأثير ومن خلال خيال واسع خصب مبني على اطلاع واسع في الشعر والأدب ومن خلال لغة غزيرة القاموس جليلة الاستخدام ثاقبة التعبير جميلة جزلة فخمة الإيقاع رقيقة الإيحاء واللفظ وأوزان تتناسب مع المضامين خاصة فيما يتعلّق بتلاعبه للازمنة، حيث من الصعب تخمين الزمن الذي يحكي عنه/ وأحياناً تشتبك الأحداث بين الزمن الماضي والحاضر والمستقبل.

هذه الدراسة المتواضعة تهدف إلى تقديم أنماط الزمن كاسترجاع واستباق للأحداث عند الشاعر، وتبين كيف استطاع أن يظهر الزمان متقدّماً أو متأخراً. "الاسترجاع هو العودة إلى الوراء" وذكر الماضى والإخبار عنه ويسمّى السرد الاستذكاري كذلك وهو يعتبر من البنى الزمنية الهامة في السرد الروائي والقصصى وقد يقابله الاستباق الذي يحكي عن المستقبل الذي لم يحدث بشكل تكهّن أم إنه يحضر بكل أحداثه وكأنه واقع وسابق عن أوانه، لكن هذه الدراسة لم تتطرق إلى القصص بل حول الشعر وبكون فريد من نوعه.

والاستباق أو القفز إلى الأمام هو كل مقطع حكائي يروي أحداثاً سابقة عن أوانها، أو يمكن توقّع حدوثها... ويقضي هذا النمط من السرد بقلب نظام الأحداث في الرواية عن طريق تقديم متواليات حكائية محل أخرى سابقة عليها في الحدوث، أي القفز على فترة ما من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب، لاستشراف مستقبل الأحداث، والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدّات في الرواية.

يعدّ الاستباق، ووسيلته إلى تأدية وظيفته في النسق الزمني للرواية ككل. وعلى المستوى الوظيفي يعمل بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة، أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات، كما أنه قد يأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات، مثل الإشارة إلى احتمال زواج أو مرض أو موت بعض الشخصيات. ويسمّي (جينيت) هذا النوع بـ (الاستباق الخارجي) تمييزاً لها عن (الاستباق التكميلي) الذي يأتي ليملأ ثغرة حكائية سوف تحدث في وقت لاحق من جراء أشكال الحذف المختلفة التي تتعاقب على السرد. نشأت أنواع مختلفة من الاسترجاع:

1: استرجاع خارجي: يعود إلى ما قبل بداية الرواية.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2: استرجاع داخلي: يعود إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص.

3: استرجاع مزجي: وهو ما يجمع بين النوعين[1].

1.1 أسئلة البحث

تسعى هذه الدراسة أن تجيب عن الأسئلة التالية:

– ما هو أسلوب عدنان الصائغ لإرباك الزمن وتفتيته؟

– مال الشاعر عدنان الصائغ إلى الاسترجاع أم الاستباق في مزج اللغة الشعرية بالزمن؟

– انتمى عدنان الصائغ إلى الرمزية أم الفانتازيا أم أسلوب آخر للهرب من الواقع؟

هذا البحث يحاول أن يجيب عن هذه الأسئلة من خلال دراسة القصائد بأن اللغة الشعرية تساعد كثيراً في الاسترجاع والحديث عن ماض ومزجه مع الخيال والحاضر واستباق الأحداث بلغة أدبية رصينة تتأرجح بين الماضي والحال والمستقبل. ونبيّن خلال هذا البحث الأسلوب الذي اتخذه الكاتب لسرد الأحداث يا ترى هل يكون واقعياً، أم رمزياً أم بين الخيال والواقع ونصوّر القصائد التي مزجت النبية الزمنية باللغة الشعرية كنموذج مستقل للقصائد المختلفة.

2.1 الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات في بداية العشرينيات للقرن العشرين بالنسبة للعنصر الزمني وشاهدنا البحوث التي شملت الاسترجاع والاستباق بصورة أكاديمية للشكلانيين الروس لكن أخذت الدراسات الحديثة في الستينيات تهتم أي اهتمام بمنهج بنيوي كما رأينا في دراسة رولان بارت للسرد البنيوي عام 1966 وقد نرى منهج بروب في أسلوبه، كما نرى بالنسبة للزمن تطرق هايدجر في كتابه الكينونة والزمان إلى تفتيت الزمن الحاضر وغلبة الماضي والمسقبل واستطاع أن يرسم للزمن عوالم لم يسبق لأحد أن رسمها بهذا الشكل الوصفي وهناك مقالة بعنوان "البنية الزمنية بين الاسترجاع والاستباق في رواية العقرب على أدراج سلم محطة انديمشك" نشرت في مجلة آداب الكوفة للكاتبين رسول بلاوي وحسين طرفي عليوي عام 2015، ويتطرّق المقال حول البنية الزمنية في الحدث السردي ويصف لنا الأزمنة المختلفة في فصول الرواية بعدئذ يشير إلى الاسترجاع في الرواية وكيف وصف الرواي الزمن المستقبل كزمن حاضر مع ذكر نماذج من فصول الرواية، وفي البحث الأخير يتطرق المقال حول الاسترجاع في الرواية ويشير إلى العودة التي تطغى على الزمن ويمتزج الماضي بالحاضر، وسوف نشير للدراسات السايقة التي نشرت حول الشاعر عدنان الصائغ:

– شعر عدنان الصائغ دراسة اسلوبية للباحث عارف الساعدي. –رسالة ماجستير جرت مناقشتها في كلية التربية – جامعة بغداد بتاريخ 7-9-2006 وقد درس الباحث في هذه الرسالة أهم القضايا التي تناولها الصائغ من الواقع العراقي والباحث لهذه الدراسة وجد الصائغ شاعراً استطاع أن يحارب الوجه البشع للحرب وأن يدينها من خلال شعره، وقصائده شاهد على ذلك، كما أنه استطاع أن يصوغ من المهمل والهامشي واليومي رافداً مهمّاً من تجربته الشعرية وذلك بانتشال

1 – قاسم، سيزا، (1984)، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ص 40.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

هذا الهامشي من الهامش إلى المتن وخلق بلاغة جديدة على الذائقة الشعرية.

– قصيدة الحياة اليوميَّة في شِعر عدنان الصائغ للباحث أحمد محمد علي، جامعة الموصل/ العراق رسالة جرت مناقشتها في كلية الآداب– جامعة الموصل بتاريخ 2011/5/22.

– مقال جماليات الأساليب البصرية في شعر عدنان الصائغ للباحث رسول بلاوي وآخرين 2015م، منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها الصادرة عن جامعة سمنان في إيران.

– الرفض في شعر عدنان الصائغ للباحثة أرخوان معتصم عبد الكريم البرزنجي، جامعة صلاح الدين/ أربيل رسالة جرت مناقشتها في كلية التربية– جامعة صلاح الدين بتاريخ 2015/11/1. توصلت الباحثة في نهاية رحلتها العلمية إلى مجموعة نتائج يمكن حصرها في نقاط عدة وهي: إن عدنان الصائغ شاعرٌ جريء وذو حسٍّ إنساني عميق، ويتوغّل في أبعاد الناس البسطاء بكلمات واضحة بسيطة مثقلة بالبذور والزهور والثمار، يكتب لردم المسافة بين عذابه الخاص وعذاب الكتابة كموقف وجودي إنساني وبهذه النقلة يتحدى ما هو خاصٌ وعام، إنه وحيد وسط الكثرة التي تستنسخ بعضها بعضاً، فالشاعر يملك ثقافة واسعة وقدرة إبداعية خلّاقة للتعبير عن مستجدات وتناقضات العصر. لقد اختار الباحثون شاعراً مهمّاً من الشعراء العراقيين الذين كان اهتمامهم غريباً، بل هو من صلب هذه الحياة، وكان اختيار الواقع العراقي مجالاً لدراسته اهتمام كبير، في رصد تلك المظاهر الإنسانية في الحياة اليومية وتقديمها الى القارئ الذي يجد الحياة اليومية في شعر الصائغ تغلغلت في بنية قصيدته حتى النخاع، وهذا انعكس على مضامينها واتجاهاتها وخصائصها الفنيّة، لخصوصية الواقع العراقي ورموزه وبساطته ومضامينه التي بالتأكيد تختلف عن البلاد الأُخرى وهكذا سائر البلدان لها خصوصياتها التي تميزها عن البلدان المختلفة.

3.1 أهداف البحث

من أهداف البحث الأساسية إعطاء فكرة عن الاستباق والاسترجاع في شعر عدنان الصائغ، واكتشاف جماليات نصوصه الحديثة.

4.1 حياة الشاعر

عدنان الصائغ شاعر عراقي وُلد في مدينة الكوفة، في العراق عام 1955م، في بيت صغير قريباً من نهر الفرات. ويُعدّ الصائغ من أهمّ الشعراء المعاصرين، ومن أكثرهم إثارة للجدل، ويرجع الفضل في ذلك بدرجة عالية إلى تصميم وشجاعة الشاعر في تدوين القصائد التي تنمّ عن وعي وفطنة وروح متمرّدة لا تبالي بما حولها من هيمنة للجو السياسي والاجتماعي المتشنج في العراق[1]. اضطرت العائلة لبيع أملاكها حتى لم يتبقَ لهم شيءٌ فظلّوا يتنقلون من بيت إلى بيت، وامتهنت والدته الخياطة وقراءة القرآن لكسب المعيشة، حتى أطّلع في بيت خاله الشاعر "عبدالله الصائغ" في النجف على العديد من الكتب والمجلّات وتعرّف على العديد من الأدباء وكان يستمع هناك إلى أحاديثهم الأدبية. دخل مدرسة ابن حيان

1– دريانورد، زينب ورسول بلاوي، (2018م)، الكاميرا الشعرية في قصائد عدنان الصائغ الملتزمة، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد 2، ص52

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الابتدائية في الكوفة عام 1962م وعمره سبع سنوات إذ تأخّر عاماً عن دخول المدرسة بسبب الوضع الاقتصادي للعائلة.

عام 1969 في الصف الثاني، في "متوسطة ابن عقيل" قرأ إنشاءً مرتجلاً أثار اهتمام مدرّس اللغة العربية الأستاذ عبد الهادي الحلو وكان أديباً وشاعراً نجفياً فشجعه كثيراً على الارتجال وجمال الوصف وظل يشجعه على الكتابة وينشر له في النشرة الجدارية للمدرسة.

يتعرّف على الشاعر علي الرماحي (شاعر عراقي من مدينة الكوفة، أعدمهُ النظام البعثي عام 1979، لقصائده التحريضية. ولم يعثر له على قبر حتى اليوم) الذي يأخذ منه الكثير ويستمرّان باللقاءات ونظم الشعر العمودي وارتجاله وتبادل الرسائل شِعراً ويتعرّف أيضاً على الفنانين: حسين حيدر الفحّام ومحمد لقمان وكريم الوالي وأخيه الشاعر قيس الوالي، وعلى الناقد حسن ناظم.

أما الأوضاع السياسيّة في عصر الشاعر فقد كانت وماتزال خانقة، حيث شهد حروباً كثر منها: حرب الخليج الأولى التي دارت بين العراق وإيران عام 1980م-1988م وشارك الشاعر فيها، وحرب العراق ضد الكويت عام 1991م وحرب الخليج الثانية والثالثة عام 2003م نشبت بين العراق وأمريكا، والأوضاع الاجتماعية التي دفعته هي الأخرى إلى ترك بلده: عدم الحرية، وظلم الدولة السائدة، والفقر والبؤس.

2. الحياة الأدبية في العراق:

لا بدّ لنا أن نتطرّق إلى الشعر وموقفه من الأحداث السياسية والاجتماعية التي وقعت فى العراق؛ فإنه يمهّد لفهمنا للأدب العراقي الحديث بشكل أكبر ويعطينا رؤية حول تأثير هذا الأدب المعجون بالسياسة والتحدّي، ومقاومتهِ للظلم والطغيان إلى حدٍّ كبير، على شعراء العراق المعاصرين ومن ضمنهم شاعرنا عدنان الصائغ.

بقيت الروح الإسلامية مسيطرة على نفوس العراقيين حتى أواسط القرن التاسع عشر عندما شعر العراقيون بثقل السيطرة العثمانية، فأخذ أبناؤه يعبّرون عن الإمهم بصرخات يكتمها الخوف ويبدّدها الفزع من الاضطهاد ولكنّها قدّمت لنا صورة واضحة عن مدى تفكير أبناء هذا العصر. فهم لم يكونوا سائرين في ركاب الدولة راضين مغتبطين فقد أخذت القومية تظهر واضحة شيئاً فشيئاً حتى تحوّلت إلى ثورة فيما بعد. لذلك حاول الشعراء أن ينشروا بين الناس صوراً من حياتهم كي ينبّهوهم إلى الخطر المحدق بهم بعد أن رأى عزّته قد أُهينت وكرامته قد استبيحت و «قد اتّخذ الشعر العراقي صوراً متعددة للتعبير عمّا يعانيه الناس من قلق ومن شعور بالظلم والاضطهاد. فكان بعض هذا الشعر يدعو الناس للهجرة عن مواطن الذل واستيطان الأراضي التى يأمن فيها من الاضطهاد، وكان بعضه يتغنّى بأمجاد العرب ويعدّد مآثرهم راجياً أن يقتدي قومه بهم ويقارن حال العراق بماضيه العظيم. بينما كان فريق ثالث يكافح الفقر المتفشّي بين الناس

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مطالباً بالإصلاح، تارة بالرجاء، وآونة بالتصدي للتردّي والانحطاط»[1] وعلى أية حال فإن الشعر العراقي لم يعد بعد ذلك ينحصر في مدح السلطان أو خدمة الدين بل دخل الساحة القومية والاجتماعية[2] ولكن رغم كل ما مضى فإن التطوّر الكبير في الشعر العربي الحديث بشكل عام والعراقي منه بشكل خاص دخل مرحلته الجديدة بعد الحملة الواسعة للاستعمار الغربي لمنطقة الشرق الإوسط وخصوصاً احتلال بريطانيا للعراق عام 1917 الذي مهَّد لنهضة الشعب العراقي وكفاحه أمام سياسات الاستعمار ومن ضمنهم الشعراء الملتزمون العراقيون. وكان قمة هذا الدور الفعّال للشعر العراقي أمام التدهورات السياسية، هو ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني حيث «تبارى الشعراء فى التعبير عن عواطفهم إزاء الثورة ونقمتهم على الإنجليز المحتلّين بقصائد كان لها دويٌّ في سائر أرجاء البلاد العربية. وتاريخ الشعر في هذه الفترة مشحون بالشعراء المبرزين مثل عبد الحسين الأزري وعلي الشرقي ومحمد سعيد الحبوبي – الذى كان من قادة الثورة، والزهاوي والرصافي ومحمد مهدي الجواهري والبصير ومحمد باقر ومحمد رضا الشبيبي وكثير غيرهم»[3] واذا كانت الثورة قد انتهت إلى غير ما كان يطمح له العراقيون ويبتغون، الإ ان روحها استمرت فيما بعد في تواصل المشاعر الوطنية التي ظلت متدفقة حتى عندما توقفت المقاومة المسلحة وبأشكال أخرى لعل من أبرزها سياسة الأدب والثقافة ومنها الخطب الحماسية والاحتجاجات الكلامية والتظاهرات، فضلاً عن الصوت المميّز وهو صوت الشعر الوطني العراقي الذى أسهم في زيادة حماس الجماهير وبقائه ملتهباً.[4] وبشكل عام بقي الشعر العراقي صاحب الدور النشط والموثر في أحداث القرن العشرين كما يعدّها حبيب الراوي في كتاب الشعر السياسي في العراق الحديث[5] كالتالي: 1- فترة الإنتداب البريطاني 2- الاستقلال 3- الحرب العالمية الثانية 4- فترة بعد الحرب حيث كان ظهور الرمزية في الشعر العراقي الحديث والذى شهد قلقاً سياسياً كما يرى الراوي.

هناك عوامل عديدة أثرَّت في الشعر السياسي في العراق الحديث منها: 1- خيانة العثمانيين ودول الإتحاد والحلفاء أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية وعدم الوفاء بوعودهم تجاه العراقيين 2- الأحزاب السياسية واقامة الحفلات في المناسبات الدينية والوطنية 3- الصحف وما نشرته من أعمال الشعراء في مجال السياسة 4- انتشار الوعي بين الأجيال الطالعة وازدياد عدد المثقفين لمتابعين للأحداث بقراءتهم للصحف وعلاقتهم بالشعراء 5- انعكاس كارثة فلسطين في الحياة السياسية والاجتماعية.[6] ثمّ انَّ المتتبع لاتجاهات الجديدة في الشعر السياسي الحديث في العراق يستطيع أن يستشف نزعات واتجاهات مختلفة كالنزعة الوطنية، النزعة الإنسانية، الملاحم (قصائد طوال حول حوادث سياسية معينة)، المقاومة ضد الظالمين والطغاة والاستعمار، وقد حورب الشعر المقاوم محاربة شعواء بعد ثورة العشرين لأنه حمل هموم الناس

1- إسماعيل، عزالدين، (1963)، التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العودة، ص 122.

2- المصدر نفسه: ص 29.

3- شكيب الأنصاري، محمود، (1394هـ.ش)، تطور الأدب العربي المعاصر، الأهواز، جامعة الشهيد تشمران، ص 57-58.

4- الكبيسي، عبدالرحمن حميد تامر، (1997م)، الشعر وثورة العشرين، مجلة المورد، العدد 98، ص 156.

5- الراوي، حبيب، (1954م)، الشعر السياسي في العراق الحديث، بيروت، الجامعة الإمريكية، ص 3.

6- المصدر نفسه: صص5-6-7.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

واحتجاجاتهم وانكساراتهم ورفضهم للانجليز، والطغاة فتعرّض الكثير منهم، إلى السجن والتعذيب عدّة مرّات فاضطر بعضهم إلى الخروج من العراق والاغتراب في البلاد المختلفة.

لقد اختار الباحثون شاعراً مهمّاً من الشعراء العراقيين الذين كان اهتمامهم غريباً، بل هو من صلب هذه الحياة، وكان اختيار الواقع العراقي مجالا لدراسته اهتمام كبير، في رصد تلك المظاهر الإنسانية في الحياة اليومية وتقديمها إلى القارئ الذي يجد الحياة اليومية في شعر الصائغ تغلغلت في بنية قصيدته حتى النخاع، وهذا انعكس على مضامينها واتجاهاتها وخصائصها الفنيّة، لخصوصية الواقع العراقي ورموزه وبساطته ومضامينه التي بالتأكيد تختلف عن البلاد الأخرى وهكذا سائر البلدان لها خصوصياتها التي تميزها عن البلدان المختلفة.

ونتساءل يا ترى كيف يجد الشاعر العراقي نفسه في أوضاع سياسية، اجتماعية، اقتصادية متدهورة سريعة التغيير كأوضاع العراق؟ حيث شهد العديد من الانقلابات العسكرية، والاستبداد والقمع، وسجن وتعذيب وتصفية المعارضة؟ وأين ينتهي به الحال؟ يقول جبرا ابراهيم جبرا محاولاً شرح حالة الوحدة والغربة التى تنتاب المثقّف في ظروف عصيبة كهذه: هذه الغربة الداخلية تتحكّم به أول الأمر، فتشحذ خياله وتدفعه إلى التعبير وربّما الإبداع، ثم تدفعه إلى اتخاذ الموقف الجاد إيماءً أو صراحة، ويتلوّن كل ما يكتب وكل ما يفكّر بهذا التشبّث بالرأي، وتدفعه الغربة إلى التمرد، والقلم لا يزال بيده. فيمسك المثقّف هذا السان عن الكلام حين يرى إنسانيته لا تنسجم وعشائرية المجتمع أو أن فكرته عن العدالة، بمعناها المطلق، لا تتفق وفكرة السلطة التي إنّما تعتمد القوانين والمراسيم، بحرفيّتها وموضوعيتها، ولا يهمها أن المثقف ويرى شاعر المثقف يريد المداخلة في النقاش بالاعتراض، أو الرفض، أو المطالبة. ويرى شاعرنا الصائغ أن للقمع السياسي والفكري أثره الأعمق في الاغتراب سواء داخل الوطن أو خارجه: وهكذا يعاني المثقف الضد إحباطاً مريراً تحت هذا المناخ المؤدلج الذي لا يسمح بنفاذ أفكاره إليه ولا يمنحه أي هامش للحوار أو الاختلاف، فيعيش مستهدفاً محارباً بأشكال شتى وصور متعددة.. ولما كانت المعركة أو الصراع غير متكافيء بينه وبين المؤسسات الإيديولوجية التي تمتلك وسائلها الشاملة فأنه يجد نفسه بين أمرين أحلاهما مرُّ: فأما المواجهة بما تنطوي عليه من مخاطر واعتقالٍ ونفي وتصفية، أو الانكفاء باتجاهين: الإسترخاء في ظل الإيديولوجيا السائدة أو الاغتراب بكل مستوياته والذي يشكّل السمة الرئيسة والواسعة للوضع الثقافي العربي الحالي.

3. القسم التحليلي

3،1 الاسترجاع والاستباق والحرب

يعتقد البعض أن الحرب ما عادت موضوعاً يتجه إليه الشاعر من الخارج بفعل مناسبة أو حدث عابر يحتفى به، إنما الحرب حالة يؤرخ الشاعر من خلالها يومياته، ومن هذا المفهوم نجد أن قصيدة الحرب الحديثة ليست جواً حماسياً وليست

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

صليل سيوف أو قعقعة سلاح، كما ذكرنا في بداية البحث. وإنما هي عواطف وأحاسيس إنسانية مشروعة[1]. في الحقيقة، الزمن يرتبك في الأحداث كلما شاهدنا تغييراً في اللغة لتُمسي شعرية و«الزمان هو ما يتحدد من خلال اللغة أي الزمن للدلالة على الزمن اللغوي»[2]. وهذا التعقيد في معرفة الزمن ولّد تساؤلات كثيرة لدى الكتّاب وهو يتسائلون: «الزمن مطلق أم نسبي؟ الزمن دائري أم خطي؟ الزمن موضوعي أم ذاتي؟ الزمن هو الماضي أم الحاضر أم المستقبل؟»[3].

ولا يكاد يخلو ديوان أي شاعر عراقي معاصر من قصائد الحرب، سواء كانت مطبلة للحرب أو مدينة لها. يقول الصائغ: «فلقد أفرزت تلك الفترة أكداساً من أدب الحرب يمكن أن تملأ شاحنات وقطارات ذهبت كلها إلى سلال قمامات النسيان، لكن الإبداع الحقيقي والأصيل والصادق والمتميز كان موجودا أيضا تحت أو وسط تلك الأكداس»[4].

أما الحديث عن عدنان الصائغ وعن قصيدة الحرب في شعره، فقد أخذت قصيدة الحرب جانباً كبيراً من شعر الصائغ وهي عنده تختلف- نوعاً ما- من قصيدة الحماسة في الموروث الشعري العربي. وللدخول أكثر في قصائد الحرب لدى الصائغ، نجد أن مفردات الحرب في القصائد المألوفة تختفي شيئا فشيئا فلا نجد (الرماح، السيوف، الخيول، الجعجعة، الغبار، النصر، الأعداء...إلخ) ويمكن القول إن معظم ثيمات الحرب تحاول أن ترسم لنا الاسترجاع الزمني، لكن أحياناً يسابق الأحداث بحكايات عن يومه الحالي، ونجد مفردات لتفاصيل دقيقة وهي تخص الحرب أيضا فنجد (معسكر، عريف، الجندي المجهول، البنادق، الجنود السواتر، الرصاصة، الموضع، الشهيد، شظايا، خنادق ملاجئ، قصف، طائرات، حدود، أرملة، قذيفه، قذيفه، سرفات، نادبات، ثكنات، رصيف المحطات، ساحة الحرب، اللغم، إجازة، الملازم...) ومن يقرأ قصائد الحرب عند الصائغ يتذكر حكايات الجنود العائدين من الحرب في إجازاتهم الشهرية في بداية الثمانينات وأحاديثهم عن المعسكرات والهموما البسيطة، والحياة في المواضع، الإ أن هؤلاء الجنود لم يكونوا شعراء كعدنان الصائغ الذي استطاع أن يخلق من (العريف صباح) بطلاً أسطورياً وعاشقاً من القرون الوسطى:

«قِيلَ كان صباحُ العريفُ إذا أطبقَ الموتُ فكّيهِ، غَنّى...

وقيلَ صباحُ المشاكسُ في الحبِّ والحربِ

طلقتُهُ لا تخيبُ

يشمُّ النخيلَ،

فيَعرِفُ أنَّ الحبيبة

مرَّتْ – قُبيلَ الغروبِ – بفُسْتانِها البرتقاليّ

يَعرِفُ ماذا يُخَبِّئُ – خلفَ السواترِ – هذا المساءُ الثقيل

فيحمِلُ رشّاشَهُ – صامتاً – ويغيبُ»[1]

1- بدوي، مصطفى، (1969م)، مختارات من الشعر العربي الحديث، بيروت، دار النهار للنشر، ص 8.

2- رشيد، كمال، (2008م)، الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، ص 14.

3- القصراوي، مها حسن، (1994)، الزمن في الرواية العربية، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 17.

4- كامل، مصطفى، (1935م): (32) ربيعاً، القاهرة، دار المعارف، ص 21.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وهنا نجد أن قصيدة الصائغ تبدو وكأنها تقترح صلات ذات وشائج قوية بالحياة وكأن الشاعر عدنان يدور وسط الأزمنة في قصائده بل الحقيقة «الإنسان في حقيقته كائن زماني، وأن الزمن جزء من وجوده»[2] (الحياة التي تبدو في شعر الصائغ متناً والحرب هامشاً)، لو أمعنا النظر كتب الصائغ قصيدنه بيمزج بين الاسترجاع والاستباق إذ نجد العريف متأرجحا بين حبيبته التي تراود خياله وبين السواتر الحقيقية التي يختبئ خلفها، فهذا العريف الذي أخرجه الصائغ من تراب المواضع والحرب، وخلقه من جديد على الورقة، عريف لا يشبه العرفاء الذين لا ينظر الجنود إليهم عادة بعين الودّ، ولكن هذا العريف مختلف تماماً، فهو الذي يغني كلما اقترب الموت منه، وهو ذلك الذي وصل به الحب من المعرفة الغيبية أي من الزمن الماضي بيقتحم حاضره المفعم بالموت، لكنه يريد أن يعرف حبيبته عندما يشم النخيل بأنها عبرت قبل قليل، وكما درسنا في تقلبات الزمن كيف تدخل الطبيعة بألوانها المختلفة مع مفردات الحب، وتشكل جواً خاصاً بقصائد الصائغ مزيجاً من ألفاظ الحب والطبيعة، كذلك ألفاظ الحرب في الطبيعة متحركة بكل أبعادها من نبات وحيوان ليشكلا ظاهرة لدى الصائغ متضافرة من مفردات الحرب مع مفردات الطبيعة، لذلك نرى اتحاداً أو مزجاً بين الطبيعة وبين مفردات الحرب ومزجا بين الماضي والحاضر، وهذا ما يبحث عنه البحث و«وهنا تبدو الطبيعة عنصراً من عناصر الحرب، تقتنص دلالتها، وتضع حيوية الفكرة الشعرية من خلال توظيفها في بناء أو تعميق الحدث الدرامي»[3]. كما نجده في أشعار الحرب يستبدل المحن بالحب ويلبسها رداء ناعم ورقيق ليس كما هو الواقع المرير للحروب الدموية التي عاشها وشهدها انذاك.

«يبدأُ الوطنُ – الإنَ – من جملةٍ
نصفُها مَضَغَتها المطابعُ
فالتمسي في دمي كلمةً، لا يُشَوّهُها أحدٌ
أُغَنّي بها وطني، من شُقوقِ المواضعِ والقلبِ
حيث ينامُ الجنودُ على يَطَغَاتِ الحنينِ المبلَّلِ
ملءُ جفوني، انكسارُ الندى، والبلادُ
وملءَ البلادِ، افترشنا أغاني الخنادقِ والعُلَبَ الإجنبيةَ
تحطُنا الحربُ:
مرَّ عريفُ الإعاشةِ، والطائراتُ الوطيئةُ
مرَّ شتاءُ الطفولةِ، والقَمْلُ
مرَّ الصباحُ الحديديُّ فوق زجاجِ النُعاسِ
فشظّى تَرَقُّبَنا لنهارٍ جديد

1- الصائغ، عدنان، (2017م)، نشيد أوروك، بيروت، دار أمواج، ص 318.

2- ولعة، صالح، (2002م)، البناء والدلالة في روايات عبدالرحمن منيف، رسالة دكتوراة (مخطوط)، الجزائر، جامعة باجي مختار، ص 8.

3- عبد المجيد، جميل، (1999م)، بلاغة النص، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، القاهرة، 33.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لمْ يغتسلْ بعدُ من طمثِ القصفِ
مرَّ ثلاثون موتاً على موتِنا،
وقنبلةٌ واحدةْ
فاقتَسَمنا على طاولاتِ التوابيتِ،
خبزَ البقاءِ المثقَّبَ،
والشايَ
مرَّ الندمْ
إصبعاً، إصبعاً،
ستُقطِّعُ كفَّ طفولتِنا، الحربُ
تمضي بنا – في غرورِ المقاولِ – نحوَ مساطرِها
وتبيعُ الذي لن نبيعَ
تُجوّعنا، ونكابرُها بالوطن
وتُشتِّتُ أيّامَنا، فنشاغلُ أيّامَها بالتمنِّي
وإذْ تستجيرُ طيورُ الحنينِ
بأعشاشِ أحزانِنا
سوف نبكي على {وطنٍ}
ضيَّعوه...
فضعنا»[1]

قصيدة الصائغ في ميدان الحرب تفصح عن اقتسام دلالي ناتج من اقتسام في المفردة الشعرية وأن هناك نظاماً هندسياً لا مرئياً يترشح من بين كل هذه العفوية والبساطة في شعر الصائغ، فهو لا يدع لمفردات الموت أو جمله أن تنمو حتى يأتي بمفردات أو جمل تكسر هذا الجو الأسود، وهكذا تتحرك مفردات الصائغ ضمن هذا الجو، فهو يذكر الحرب والموت والضياع، ولكنه في الوقت نفسه لا ينسى الحياة وجمالها وطبيعتها وشوارعها وياسمينها، ويكون متأرجحا بين الماضي والحاضر، وهنا يمكن يصراحة نقول أنه استخدم الاسترجاع الزمني في قصيدته، إذ عاد الشاعر للماضي، وهكذا تأخذ قصائد الحرب أهمية كبيرة، ويحاول أن يذكر من الحرب (الأرملة والأيتام والشهداء والحبيبة التي تنتظر حبيبها أو زوجها..) انه يتناول رماد المعارك ليخلق منه حالة جوهرية، إنه ـ كما قيل ـ يتناول الهامش ليصبح هذا الهامش هو المتن الحقيقي، الذي تدور حوله موضوعة الحرب، ونجد هذه الحالة في قصائد عديدة للصائغ[2].

1- الصائغ، عدنان، (2017م)، نشيد أوروك، بيروت، دار أمواج، ص 284.
2- المصدر نفسه، ص640- 423.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

3،2 ألفاظ الاغتراب:

الاغتراب في اللغة افتِعَالٌ من الغُربة،والغربة والغُربُ: النزوح عن الوطن... والاغتراب والتغرّب كذلك[1]. يقول أحمد جواد مغنية في تعريف الغربة: «الغربة عن الأرض هي ابتعاد الإنسان قسراً عن وطنه الأم، فيضطره القهرأن يعيش بعيداً عنه، ويشعر بمرارة الغربة عن الأرض لأن طموحه يتعارض مع ما هو حاصل فوقها من قمع للحرية، واغترابه عن الأرض يستمر طويلاً، ويعتبر عودته إليها للموت فقط»[2].

ومن المفردات الدالة على الاغتراب لفظة "وطن"؛ فالشاعر يعيش – دائماً – في حالة مناجاة لوطنه؛وينظم قصائده في التغني به، أو الحنين إليه؛ وهذا ينم عن حيازة هذه المفردة لكم هائل من قصائده، حتى لتستغرق حياته كلها؛ وينم تكرارها – أيضاً – عن إحساس داخلي بالاغتراب؛ وما تكرارها إلا لكونها تشكل هاجساً نفسياً مؤلماً تشعره بأنه في بحث دائم عن وطنه الذي تلاشت معالمه بالاحتلال؛ لكنه كلّما عاود التفكير به وخزته جراح الغربة، ومرارة الاغتراب؛ والآلام الكثيرة التي يعانيها بلده العراق في ظل الاحتلال الأمريكي.

نواجه في قصائد عدنان الصائغ مفردات دالة على الغربة والاغتراب؛ مثل: السفر، الرحيل، المغترب، والارتحال؛ ويوظف هذه المفردات بألق تصويري شفيف غاية في التشعير الرومانسي والتكثيف الإيحائي؛ إذ يكثف الإنساق التأملية مازجاً الشعور العاطفي بالشعور الاغترابي الحزين الذي يدل على جراح الاغتراب والحنين إلى الوطن؛ كما يمجّد الأنثى لتكون له مكمن الأمان، والراحة النفسية، لتخفف عنه جراح الغربة ومرارة الاغتراب؛ والحزن، والتشتت، والضياع. ومن المفردات التي تلتقي بمفهوم الغربة في شعر عدنان الصائغ هي: الحنين، المنفى، البحر، الريح، المطرُ الرصاصِ، ...

ففي قصيدة "كأس" يقول:

في الحانة:
« كانتْ بغدادُ،
خيوطَ دُخان
تتصاعدُ
من أنفاسِ الجلاّسْ
وأصابع عازفةٍ، سكرى،
تتراقصُ بين الوترِ المهموسِ،
وبين الكأسْ
وإلى طاولتي، يَجلِسُ قلبي
ملتحفاً غُصَّتَهُ

1- ابن منظور، (2000م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر. المجلد الثالث عشر، ص 76.
2- مغنية، أحمد جواد، (2004م)، الغربة في شعر محمود درويش، بيروت، الفارابي، ص 19.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يرنو ولهاً للخَصْرِ الميّاسْ
ووراءَ زُجاجِ الحانة أشباحٌ
تترصَّدُني،
تُحصِي حولي الإنفاسْ
وأنا محتارٌ
– يا ربّي –
أينَ أديرُ القلبَ؟
وأينَ
أديرُ
الرأسْ؟»[1]

الغياب والوحدة والوحشة والحنين.. كل ذلك يملأ شعر عدنان الصائغ أحد أبرز مشردي السنوات الطويلة الماضية من العراقيين ومن الشعراء وكلما ذكر الحنين عاد بالزمن للوراء/ لكنه يعود بسرعة لواقعه الراهن، بل يسابق الأحداث.

يرجع بعض الباحثين قصيدة الصائغ إلى منابع رومانسية، لكن بعضاً من النقاد يرى غير ما يرى الآخرون، فشعر الصائغ بأنه شعر ثري، بصوره وتجاربه ورؤاه، فشعر الصائغ هو مساحات لونية شاسعة تلطخ جناحي أي نورس يحط عليها، وهي عبارة عن جنائن لفّاء تكفي ألف مملكة من النحل ولا ينتهي رحيقها، قد يخدعك ازدحام الشخوص فيه وهم نخبة مختارة، وتظنه رومانسياً وهو غائص في أعماق الواقع، يبحث عن جماليات الطفولة والريف، فإذا وجدها وظفها في خدمة الحياة والمجتمع[2]. والواقع أن شعر الصائغ لم يكن رومانسياً وكذلك لم يكن واقعياً، فهو مزيج مشتبك من كليهما، موظف في أغلب تفاصيل قصائده، فكيف لنا أن نصفه واقعياً وهو يقول في قصيدة له عنوانها (في المقهى) يطلب من نادل المقهى بدل الشاي، أشياء لا يمكن أن تتحقق إذ يقول:

«فطلبتُ من النادلِ... أنْ يأتيني بالبحرِ، وزقزقةِ الغاباتِ المنسيَّةِ في كُرّاساتِ طفولتنا، ورسائلِ حُبّي الإولى تحت وسادةِ بنتِ الجيرانِ، ونوحِ نواعيرِ أغانينا فوق ضفافِ الكوفةِ، والقمرِ الحالِمِ، والدِفْلَى، وأراجيحِ العيدِ، وركضِ الصبيةِ تحت رَذَاذِ المطرِ العذبِ، وأشعارِ الحبِّ المخبوءةِ في قمصانِ التلميذاتِ، ورائحةِ البرديْ.....!»[3].

فكيف يمكن أن تتحقق الواقعية من خلال هذه الأجواء الرومانسية الحالمة، ولكنه في قصيدة أخرى يبتعد كثيرا عن هذه الأجواء فنراه يقول:

"قلتُ لنفسي:

1- الصائغ، عدنان، (2017م)، نشيد أوروك، بيروت، دار أمواج، ص 63.
2- وادي، طه، (1989م)، جماليات القصيدة المعاصرة، القاهرة، مطبعة دار المعارف، ص 111.
3- الصائغ، عدنان، (2017م)، نشيد أوروك، بيروت، دار أمواج، ص 412.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«– ولماذا لا تشري "قاطاً" و"رباطاً"،تمرقُ في الطُرُقاتِ، أنيقاً، منتفخَ البطنِ من الشِبعِ، تُشارِكُ صَحْبَكَ لعبَ "الدومينو"... ومعاكسةَ النسوةِ...، والثرثرةَ الفِجَّةَ – في المقهى – وتبادلَ أشرطةِ الفيديو.. بدلَ الكتبِ الحمقاء...»[1].

وربما نجد في القصيدة الواحدة أكثر من مناخ تنتقل فيه القصيدة فمن غير الممكن أن نعد شاعراً ما بأنه شاعر رومانسي، وذلك لاستخدامه بعض المفردات الناعمة، فالمفردة هي المادة الإولى التي لا تحتمل مثل هذه المزايا،بل يجيء وصفها بالرومانسية من خلال المضمون والتركيب اللغوي للقصيدة،[2]. وما دمنا نتحدث عن معجم الصائغ الشعري وعن ألفاظ الحب خصوصاً، فقد وجد الباحثون من خلال استقراء شعر الصائغ،أن لغته الشعرية فيما يخص قصائد الحب «لم تعد سيلاً من ألفاظ الحب التي تؤله المرأة وتضفي على الطبيعة من خلالها بهاءً وجمالا لا نظير له»[3]، فقد اعتدنا من الشعراء عندما يتغزّلون فإنهم، في عمومهم . يتغزلون بامرأة واحدة وأنهم يعانون من أسباب الحب المعاناة نفسها، فهم جميعاً لا ينامون الليل، وهم جميعا تائهون يعدّون النجوم... إلخ.

إن الصائغ يوحد كثيراً بين المرأة والطبيعة، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده في الداخل (قصائد الحب طبعاً) من توحد بين عيون الحبيبة وبين الطبيعة، وهو موقف أرجعه بعض النقاد إلى النزعة الرومانسية، لأن الشاعر الرومانسي الشاب غالبا ما كان يوحد بين المرأة والطبيعة[4]، لذلك لم أستطع من خلال استقرائي لشعر الصائغ أن أفصل بين ألفاظ الحب وألفاظ الطبيعة، فقد امتزجا امتزاجاً تركيبياً ودلالياً، لا يمكن الفصل بينهما، لذلك سأدرس ألفاظ الحب والطبيعة معاً، مفتشاً عن قدرة الصائغ بالانحراف بالمفردة المعجمية من معجميتها إلى مديات الشعرية، وقد هيمنت من خلال هذين المناخين مجموعة ألفاظ يرددها الشاعر دائماً، فنجد (عينيها الماطرتين، عينيها الصاخبتين، عينيها الخضراوين، صباحا للعينين، تغيم الأمطار في عينيك، مرافيء قلبي، فراشات قلبي، غصن قلبي، أوراق القلب، حدائق قلبي، مشتل قلبي، برعم قلبي) هذا من حيث امتزاج مفردة الطبيعة مع مفردة الحب، ولكن نتشر مجموعة كبيرة من الألفاظ (صباحات، اقحوان، فجر، ندى، روح،نفس، شجر، رياح، رازقي، حبارى، زهرة، نافذة، ثياب، شباك،حلم، أنثى، مشط... إلخ)، وللغوص أكثر مع معجم الصائغ في قصائد الحب والطبيعة وجد الباحثون أن مفردة (القلب) تهيمن هيمنة كبيرة على قصائده وكذلك مفردة (العينين)، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده المكتوبة والمطبوعة في الداخل من هاتين المفردتين، ودائما نجد مفردة (قلبي) مرتبطة مع مفردة (معشبة) أي أنها مرتبطة مع الطبيعة بشكل كبير، وهذا ما أوقع الصائغ في تكرارات متعددة، فقلبه دائما مرتبط بالحديقة. وهذا ما أوقع الصائغ في تكرارات متعددة، فقلبه دائما مرتبط بالحديقة والبستان والعشب والأوراق، والبرعم، والمشتل، والفراشات، والنوافذ.. يقول الصائغ:

«هو الوطنُ المستفيقُ..

1- المصدر نفسه، ص 414.

2- اطيمش، محسن، (1986)، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، ص 171.

3- المصدر نفسه، ص 172.

4- المصدر نفسه، ص 176.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

على جمرةِ الوصلِ..
يمتدُّ..
من قاعِ عينيكِ..
حتى مرافِئِ قلبي
شهيّاً
بهيّاً
مضيئاً
ككلِّ الصباحاتِ.. حينَ أراكِ
تميسينَ في ثوبكِ المدرسيِّ المطرّزِ بالإقْحُوانْ
..زهره..
من حَنانْ
تهشُّ فَراشاتُ قلبي.. إليكِ
وأمضي..»[1]

هذا المقطع مجتزأ من أول قصيدة لعدنان الصائغ في أول مجموعة شعرية له (انتظريني تحت نصب الحرية):

«وأحتارُ..
كيفَ تجيءُ القصيدةْ؟
وتَضْرِبُ – كالموجِ – شطآنَ قلبي...
.....
ومن أين تأتي القصيدةُ؟
ما اسمها..؟
وأسألُ كلَّ الدروبِ:
أمرَّتْ عليكنَّ..
سيِّدتي العابثة؟
وأسألُ كلَّ الصحابْ:
مَنْ رأى حلوتي في القميصِ الموشَّى بحُلْمِ النُجَيْمَاتِ؟
..... راكضةً
في بساتين قلبي»[2]

1- الصائغ، عدنان، (2017م)، نشيد أوروك، بيروت، دار أمواج، ص 511.
2- المصدر نفسه، ص 561.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وهنا تبدو القصيدة وكأنها امرأة يطاردها وتشاكسه وتعانده، فالشاعر يجسد القصيدة بالأنثى التي تملك الشرائط البيض والنظرة الناعسة. فمفردات هذه القصيدة أول ما يشم منها عطر الرومانسية، وهذا نجده كثيراً في قصائد الصائغ، وذلك بأن تحمل الكثير من قصائده مفردات دافئة وناعمة توحي بالرومانسية، لكن الدلالة التي تترشح في النهاية هي ليست دلالة أو موقفاً رومانسياً، وهذا ما خرجنا به من هذه القصيدة، فالقصيدة مملوءة بـ (الضفاف البعيدة، رمال الورق، حلوتي، النجيمات، القميص، أريج،ضفائر، طفولة، شرائط بيض، نظرة ناعسة، زجاج شفيف، حفيف غصون...) كل هذه المفردات التي نتوقع قبل أن نتمها، أن نخرج بموقف رومانسي، إلا أننا خرجنا بهم واقعي يعانيه الشاعر من القصيدة، ساهمت هذه المفردات في شحن طاقة القصيدة، وألبست كل خصائص وصفات الأنثى الجموحة العصية، لكنها الجميلة، التي إذا خاصمت شاعرها سيموت، ومرة أخرى في هذه القصيدة يتلوّن (القلب) بمدلولات أخرى مشابهة للسابقات فنرى (شطآن قلبي، بساتين قلبي) إذ يربط بين القلب والطبيعة.

وهذي ألفاظ وحالات مستهلكة، يكررها الشعراء، فهم في الأغلب . ونقصد بهم الشعراء الكلاسيكيين الذين يكلفوا أنفسهم بالارتفاع ولو قليلاً عن واقع كتاباتهم، فهم عبارة عن مرددين لأصوات أخرى، وعاشقين نساء أخريات لسن نساءهم، فجميعنا نقاداً أو باحثين، نريد من الشاعر أن يكتب قصيدة حب في حبيبته هو وليست حبيبة عمر بن أبي ربيعة أو نزار قباني، نريد أن يسكب شيئاً من ذاتيته وصفاته على محبوبته، وهذا ما حصل لدى الصائغ، فلم تكن قصيدة الحب لديه قصيدة عذاب وسهد وتشرد وهيام حد الجنون.

لقد أدرك الشعراء المعاصرون انّ التراث مصدرغني وهام، يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه. فكثيراً ما قاموا بإستدعاء الشخصيات التراثية في شعرهم بغية توظيفها في بنية النصّ، بما تحمله من دلالات وإشارات تنمّي القدرة الإيحائية للقصيدة. فاستدعاء هذه الشخصيات تُعتَبر من أبرز التقنيات التي اعتمدها الشعراء في قصائدهم، لتمنحها حمولة فكرية ووجدانية لا تخفى على المتلقي، لأن الشخصيات المستدعاة غالباً ما يكون لها في الذهن والوجدان إيحاءات دلالية وعاطفية، تفرض على القاريء نوعاً من التماهي معها، بما تمثله في وعيه ولاوعيه الفردي والجماعي من حضور وتأثير قويين.

لقد شاعت الشخصيات التراثية/ الرموز التاريخية في القصيدة العربية الحديثة، حيث عكف الشعراء على موروثهم، يستمدون من مصادره المختلفة – من موروث ديني، وموروث صوفي، ومن موروث تاريخي، وموروث أدبي، وموروث أسطوري أو فولكلوري – عناصر ومعطيات مختلفة، من أحداث وشخصيات وإشارات، يبنون منها رموزهم.

ومن أسباب إتجاه الشعراء العرب المعاصرين إلى الشخصيات التراثية في شعرهم هي الظروف السياسية والاجتماعية الخانقة التي مرّت بها الإمة العربية؛ ففي العصر الحديث مرّت الأمة العربية بظروف من القهر السياسي والاجتماعي،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وأدت فيه كل الحريات، وفرض على أصحاب وفرض على أصحاب الرأي ستار من الصمت الثقيل كانت أية محاولة لتجاوزه تكلف صاحبها حياته[1].

وتبين أن الصائغ يحاول في كل لفظة من الألفاظ المحنة أن يعبر عن مكنومات قلبه ويعطي مساهة واسعة لأحاسيسه الجياشة، للتعبير عن محنته الذاتية التي عاشت وتعيش معه.

3،3 الاسترجاع الزمني عن الطفولة:

الطفولة تمثل نمطاً حياتيا يومياً في قصائد عدنان الصائغ الذي وجدنا عودته نحو الطفولة كانت في جوهرها ذات قيمة إنسانية متشكلة من مزيج رائع بين الطفولة بوصفها نقاء وبراءة وسعادة وبين مشاعر تتعلق بالوطن بوعي تام منذ ذلك الزمن ليقدم لنا عبر ذلك شعوراً وطنياً إنسانياً له أساسه الصلب لأنه متجذر به من الطفولة.من تلك القصائد التى قدمت الطفولة بوصفها سلوكاً يومياً ونمطاً حياتياً متكرراً قصيدته التي عنوانها (طفولة):

تجذّرتُ

— منذُ الطفولةِ —

بالوطنِ المسْتَحِمّ على شرفتي

كنتُ... والشمسُ

نلهو معاً

.. في الأزِقَّةِ

نبتاعُ حلوى

ونَكتُبُ شِعرا

ونركضُ خلفَ العصافيرِ

أسألها:

لِمَ تَهرُبُ من قفصي...؟

وتَحِنُّ إلى عُشِّها..

في أعالي الشجرْ

وتتركُ دفءَ يدي...

و "حُبوبي"

وتصبو لهُ...

رغمَ عصفِ الرياحِ...

وزخّ المطرْ

1- المصدر نفسه: 32و33.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تجذّرتُ – منذُ الطفولةِ –
أَعْرِفُ أنَّ هواه
يفيضُ بقلبي... حنيناً
ونسغاً.. تصاعدَ
من لهفتي
رائعاً.. عاشقاً.. كالنهرْ
وكان المطرْ
يُبَلِّلُ ثوبي
وأفرحُ..
أركضُ..
أركضُ..
أركضُ..
أفتحُ.. كلَّ ذراعيّ
علّيَ أُمسِكُ شَعرَ المطرْ
*
وكانَ المعلّمُ...
حين يُعَلِّمُني...
كيفَ أَرْسُمُ.. فوقَ الكراريسِ
شكلَ الوطنْ
أُغَافِلُهُ....!!
ثمَّ أَلْصقُهُ فوقَ قلبي
وأبكي...
لأنّي كسرتُ الزجاجةَ..
– في الصفِّ –
يا لبراءةِ هذا {الشجنْ}
وأَعْرِفُ...
إمّا نسيتُ نشيديَ – يومَ الخميسِ –

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

سيزعلُ منّي الوطنْ[1]

القصيدة هنا تتحدث عن ممارسات يومية متكررة في زمن الطفولة، الصائغ يجتزيء لنا هذا الموقف من زمن الطفولة ويقدمه في سياق شعري يتحرك على إيقاع زمني متحرك بين الطفولة والمستقبل، المستقبل هو اللحظة الحاضرة التي يقف عندها وينظر إلى ماضية، ويتشكّل المزج بين الاسترجاع والاستباق للأحداث، من هنا ينهض الفعل الماضى الناقص (كان) بمهمة فتح السرد على أجواء الماضي/الطفولة، لنقف إزاء بنية الماضي الطفولة تتمثل بـ (المعلم/ يعلمني الكراريس البكاء الصف النشيد يوم الخميس) هنا تغادر هذه القيم المعرفية دلالاتها المرجعية لتقدم لنا سياقاً شعرياً نقياً قائماً على براءة الطفولة، لكنها ليست أية براءة بل البراءة وفق المنظور الجمعي اليومي الشعبي المتكرر كل يوم ضمن سياق عام هو الوطن (العراق) لنكون بعد ذلك إزاء صورة محلية عراقية خالصة من صميم الواقع اليومي المعاش وبلغة خاصة هي لغة البراءة.

في القصيدة ذاتها يستمر لصائغ باستحضار صور الطفولة التى تمثل ممارسات يومية مكررة فنجد أن المكان (البستان) واسم صاحبه (عبود) قد كثفا من أثر الحضور اليومي في القصيدة فضلاً عن السلوك الذى تقدمه الشخصية البطلة في طفولتها:

وكنتُ أطاردُ.. خلفَ الفَراشاتِ

في كلِّ حقلٍ

أُجَفِّفُها...

ثمَّ أندمُ.....!!

... يا لهشاشةِ ألوانِها الميّتةْ

أأرضى – أنا –..

أنْ يُجَفِّفَني أحدٌ في كتابْ

وكلَّ صباحْ

نمرُّ ببستانِ "عَبُّود"

للآن....

أَذكُرُ ثقلَ "السوابيط"..

والرازقيَّ

وحينَ تَسلَّقتُ يوماً...

لأسرقَ رُمَّانةً... راودتني

تَرَدَّدْتُ ساعتَها

1- الصائغ، عدنان، (2017م)، نشيد أوروك، بيروت، دار أمواج، ص 514.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ورجعتُ لمدرستي... راكضاً
خوفَ أنْ يغضبَ اللهُ منِّي..
وَيَزْعل منِّي... الوطنْ[1]

إن هذا السلوك الذى تقوم به شخصية الطفل وهذا الشعور النفسي القائم على التردد بين الصح والخطأ هو سلوك يومي يمثل الصراع النفسي في النص،وهو سلوك متكرر لدى أغلب الأطفال، ففعل السرقة والتسلق كلها أفعال صبيانية إلّا أن الصائغ يضعها فى سياق يجعل القارئ يعوم في مناخات أليفة من الواقع اليومي الذي تألفه الذات وتتوق للعودة إليه، فالشيء الذى يمكن ملاحظته في هذه القصيدة هو هذا التلاحم الصميمي بين الطفولة والوطن الذى تنتهي معه مقاطع القصيدة، هنا السياق العام الذي كتبت القصيدة ضمن محيط أجوائه هو الذي وجه الطفولة هذا التوجه الذي ينزع نحو المشاعر الوطنية.

4. النتائج:

توصّل البحث خلال دراسة شعر الشاعر عدنان الصائغ، إلى عدة نتائج أهمّا كالآتي:

– استخدم الصائغ تقانات حديثة للزمن في شعره ومزجه بلغته الشعرية التي ساعدت في إرباك الأزمنة.

– شدّ ما استخدم الصائغ الاسترجاع ونراه يتحدث عن الماضي ليس للحنين بل ليربك الزمن الحاضر بلغته التي لا تخلو من الشعر.

– امتزجت الأحداث بلغة عدنان الشعرية التي تميل إلى الفانتازيا، هرباً من الواقع بلغة الخيال والحديث عن المنفى والحرب وما يكون خارج عن الواقع.

– يميل الكاتب الصائغ في شعره للرمزية مع وصفه الطبيعة والطفولة فنرى الوصف يتغلغل في كوامن الأشياء، يتحدث بمولنولوج داخلي عن النفسيات وما يخالج مكنونات النفس.

5. قائمة المراجع:

– ابن منظور، (2000م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر. المجلد الثالث عشر.
– اطيمش، محسن، (1986)، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة.
–بدوي، مصطفى، (1969م)، مختارات من الشعر العربي الحديث، بيروت، دار النهار للنشر.

1– المصدر نفسه، ص 516.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

-بدوي، منير محمود، (1997م) «مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع»، مجلة دراسات.
-بصري، مير، (1999م)، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن، دار الحكمة.
-الراوي، حبيب، (1954م)، الشعر السياسي في العراق الحديث، بيروت، الجامعة الإمريكية.
-رشيد، كمال، (2008م)، الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة.
-سيزا قاسم، (1984)، «بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ»، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
-شكيب الأنصاري، محمود، (1394هـ.ش)، تطور الأدب العربي المعاصر، الأهواز، جامعة الشهيد تشمران.
-الصائغ، عدنان، (2017م)، نشيد أوروك، بيروت، دار أمواج.
-القصراوي، مها حسن، (1994)، الزمن في الرواية العربية، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
-عبد المجيد، جميل، (1999م)، بلاغة النص، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، القاهرة.
-إسماعيل، عزالدين، (1963)، التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العودة.
-كامل، مصطفى، (1935م): (32) ربيعاً، القاهرة، دار المعارف.
-سليكي، خالد، (1994)، «من النقد المعياري إلى التحليل اللساني "الشعرية البنيوية نموذجاً"»، بيروت، عالم الفكر.
-الكبيسي، عبدالرحمن حميد تامر، (1997م)، الشعر وثورة العشرين، مجلة المورد، العدد 98.
- مصطفى، إبراهيم وآخرون، (1980م)، المعجم الوسيط، القاهرة، الإدارة العامة للمعجمات واحياء التراث، مطابع دار المعارف.
-مغنية، أحمد جواد، (2004م)، الغربة في شعر محمود درويش، بيروت، الفارابي.
-وادي، طه، (1989م)، جماليات القصيدة المعاصرة، القاهرة، مطبعة دار المعارف.
-ولعة، صالح، (2002م)، البناء والدلالة في روايات عبدالرحمن منيف، رسالة دكتوراة (مخطوط)، الجزائر، جامعة باجي مختار.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)